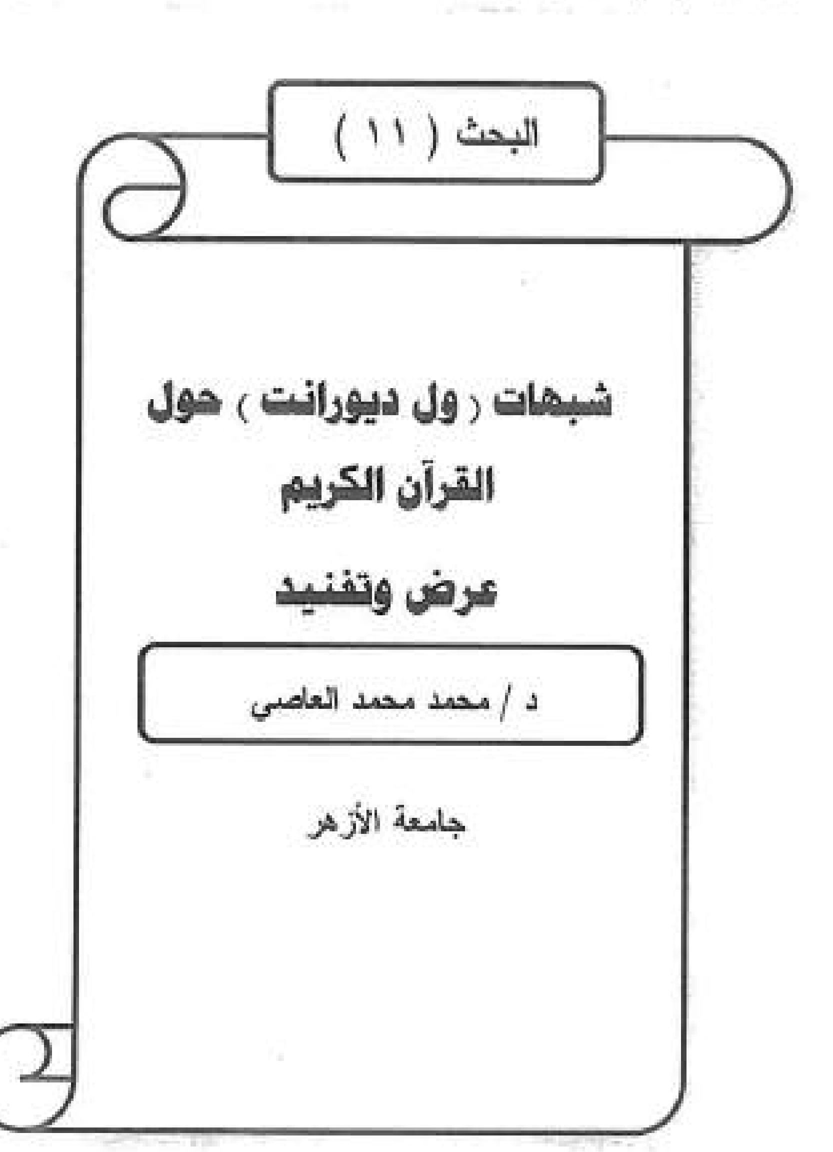


البحث (١١)

شبهات (ول ديورانت) حول القرآن الكريم عرض وتفنيد

د / محمد محمد العاصي

جامعة الأزهر



مقدمة

الحمد لله .. فاطر السماوات والأرض وبارئ النسم .

يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ويحي الأرض بعد موتها ، ويوجد الأشياء من العدم .

خلق الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم .

وتبارك الله فيما أخر وقدم ، ونقض وأبرم ، وأبدع ونظم .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ... خير معلم .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما قبل :

فقد كان لقاؤنا في العام الماضي ، وعلى صفحات هذه الحولية المباركة مفتتح دراستنا هذه عن :

شبهات المستشرق " ول ديورانت " حول الإسلام .

وكان البحث السابق مقدمات ضرورية لهذه الدراسة ، تناولنا فيه :

– ترجمة لـ " ديورانت " ... ثم ومض البحث ومضات خفيفة حول مدرسة الاستشراق الأمريكي التى ينتمي إليها .

– التعريف بالكتاب موضوع الدراسة ، وهو الموسوعة التاريخية : قصة الحضارة ، من خلال لمحة وصفية لأهم ما تضمنه

– ثم عذدنا بعض مواطن الإنصاف عند "ديورانت". كمقدمة ضرورية قبل الولوج في ساحة عرض الشبهات وتفنيدها [١] .

ولقد تواعدنا – قارئي العزيز – في خاتمة صفحات البحث السابق أن نلتقي ، لنواصل المسير حتى نصل إلي أكرم مصير ، في محاولة جادة لإكمال هذه الدراسة ، بظهور هذا الجزء الأوسط منها . والذي يهدف إلي : عرض شبهات " ديورانت " حول القرآن الكريم ، وتفنيدها .

وقد سميت هذه الأطروحة :

البحث الثاني : شبهات " ديورانت " حول القرآن الكريم عرض وتفنيد .

هذا،وقد اقتضت خطة هذا البحث أن يعقب هذه المقدمة مطلبان:

المطلب الأول : عرض شبهات " ول ديورانت " حول القرآن الكريم ويشمل :

أولاً : شذرات على طريقة عرض " ديورانت " للقرآن الكريم .

ثانياً : من مواطن الدقة عند " ديورانت " .

ثالثاً : **شبهات** : " ديورانت " حول القرآن الكريم :

الشبهة الأولي : زعمه أنه (ﷺ) هو الذي ألّف القرآن .

الشبهة الثانية : حول جمع القرآن وترتيب سوره .

---

(١) راجع : حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، ص ٦٨٣ – ٧٦١ ، العدد الثاني والعشرون لعام ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، ط دار حنون للطباعة.

الشبهة الثالثة : حول لغة القرآن .

الشبهة الرابعة : حول عموم لفظ القرآن وخصوص السبب فيه

المطلب الثاني: تفنيد شبهات "ديورنت" حول القرآن الكريم ويشمل:

نظرة في العرض لتحديد مسار الرد .

أولاً : الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالي .

ثانياً : القرآن : جمعه ، وترتيبه ، ووحدته الموضوعية .

ثالثاً : هل في القرآن شعر ؟!

رابعاً : فقه العموم والخصوص في القرآن : آية الحجاب أنموذجاً

خاتمة : وتشتمل على أهم نتائج البحث .

ذلك : ولقد اتبعت في هذا البحث المنهج المتكامل الذي يشمل التحليل والاستنباط في عملية العرض ، والنقد في عملية الدحض والتفنيد .

وأسأل الله أن أكون قد وفقت

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

المطلب الأول

عرض شبهات (ول ديورانت) حول القرآن الكريم

ويشمل :

أولاً : شذرات على طريقة عرض " ديورانت " للقرآن الكريم .

ثانياً : من مواطن الدقة عند " ديورانت " .

ثالثاً : شبهات " ديورانت " حول القرآن الكريم :

الشبهة الأولى : زعمه أنه (ﷺ) هو الذي ألَّف القرآن .

الشبهة الثانية : حول جمع القرآن وترتيب سوره .

الشبهة الثالثة : حول لغة القرآن .

الشبهة الرابعة : حول عموم لفظ القرآن وخصوص السبب فيه .

أولاً : شذرات على طريقة عرض " ديورانت " للقرآن الكريم .

تناول المستشرق " ول ديورانت " كتاب الدعوة الأول : القرآن الكريم في الباب التاسع من الجزء الثالث عشر في المجلد السابع بموسوعته : قصة الحضارة .

سبقه الباب الثامن الذي تحدث فيه عن محمد (ﷺ) [١] .

وتبعه الباب العاشر : والذي عنونه بـ : سيف الإسلام [٢]

وقسمه إلي فصول أربعة ، هي :

الفصل الأول : شكل القرآن [٣] .

وقد أكد من خلاله على أن القرآن يتكون من " أجزاء جمع بعضها إلي بعض ... ويعتقد المسلمون أن كل حرف منه موحي به من عند الله ... وكان كل ما يوحي إلي النبي (ﷺ) يكتب على الجلود أو سعف النخيل أو العظام ... وأن كل فقرة منه تؤدي إلي غرض واضح مفهوم : فهي إما أن تقرر عقيدة ، أو تأمر بصلاة أو دعاء ، أو تسن قانوناً ، أو تشهر بعدو ، أو توجه إلي عمل ، أو تروي قصة ، أو تدعو إلي قتال ، أو تعلن نصراً ، أو تصوغ عهدا ، أو تنظم شعيرة دينية ، أو تضع نظاماً للتجارة [٤]

---

(١) ١٣ / ٦ – ٤٧ .

(٢) ١٣ / ٧٠ – ١٠٥ .

(٣) ١٣ / ٤٨ – ٥٢ .

(٤) راجع : قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ترجمة : محمد بدران ، المجلد السابع ، ١٣ / ٤٨ ، ٤٩ – ٥ – ١٣ / ٥٣ – ٥٨ .

الفصل الثاني : العقائد [1] ، كما قررها القرآن .

ومن خلاله يشرح كيف قرر القرآن أن الله تعالي هو : منشئ الحياة ، ومصدر كل خير على ظهر الأرض ... وأنه أيضاً إله القوة الذي رفع السماء بغير عمد ترونها ... وسخر الشمس والقمر كل يجري إلي أجل مسمى ، .. وأن إله مع سلطانه وعدله رحيم أبداً : فكل سورة من سور القرآن – ما عدا سورة التوبة – وكل رسالة يكتبها مسلم متمسك بدينه تبدأ بتلك العبارة الفخمة : بسم الله الرحمن الرحيم .... وأن الله يعلم المستقبل كما يعلم الحاضر والماضي فكل الأشياء سابقة في علمه، وكل شيء قد تقرر وتحدد بإرادته [2] .

ويمضي " ول ديورانت " في فصله هذا مؤكداً أن القرآن قرر عقيدة المسلمين في الملائكة والجن والشيطان [3] . وأنه رسم صورة واضحة للجنة ... وما فيها من متع [4] .

الفصل الثالث : القرآن والأخلاق [5] .

وقد حاول فيه " ديوارنت " أن يشرح كيف أن القرآن يشمل قواعد للآداب ، وصحة الجسم ، والزواج والطلاق ، ومعاملة الأبناء والعبيد والحيوان،والتجارة،والسياسة،والوصايا ... والحرب والسلم [1]

---

(١) ١٣ / ٤٨ – ٥٢ .

(٢) قصة الحضارة ، ١٣ / ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) السابق ، ١٣ / ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) نفس المرجع ، ١٣ / ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٢ .

(٥) بين دفتي ص ٥٩ – ٦٤ .

الفصل الرابع : القرآن والدين والدولة [٢] .

وهو – كما ترى – عنوان علمي كبير ، لكن – وللأمانة العلمية في العرض – لم أجد في الصفحات الخمس التي ساقها " ديوارنت " ما يرمي إلي هدف محدد من عنوانه ، أو يوضح مقصداً من كلامه ، وهذا ما سنوضحه فيما بعد إن شاء الله تعالي

ثانياً : من مواطن الدقة عند " ديورانت " :

إذا كنا قد وضحنا في النقطة السابقة كيفية تناول 'ديورانت' في عرضه عن القرآن الكريم في موسوعته من خلال الفصول الأربعة ، فلأمانة البحث ونزاهة الدرس ، نشرع – إن شاء الله تعالي – في بيان بعض مواطن الدقة في عرض " ول ديورانت " مؤكدين على :

أ – هي مواطن دقة وليست مواطن إنصاف ، كما جري على ذلك جمع غير قليل من الباحثين في ميدان الاستشراق ... **لماذا ؟**

لأن الإنصاف يقتضي أن ينصر المنصِف المنصَف من نفسه ، إذا كان مظلوماً له ... وما هكذا الإسلام ... فليس مظلوماً 'لديورانت' ولا لغيره ، حتى إذا ما تكلم مستشرق كلاماً دقيقاً في ديننا ، هللنا له ، ورفعنا له القبعات ، وقلنا : فلان أنصف الإسلام في كذا وكذا .

وإني لأتساءل : لماذا – ودائماً – نضع الإسلام في الموقف الضعيف الذي يستجدي كلمة في حقه من هذا أو ذاك . كلا . كلا . فما وضحه ديورانت متفقاً مع صحيح فكرنا الإسلامي كما وضحه أئمتنا وروادنا ...

---

(١) راجع : قصة الحضارة ١٣ / ٥٩ .

(٢) في خمس صفحات ، من ٦٥ – ٦٩ .

هذا – إن حدث – مواطن دقة ، صححت مقدمات البحث فيها ... فجاءت النتيجة حتمية صحيحة تابعة لتلك المقدمات !!

ب – وفي الصورة المقابلة : نحن نعطي الدرس عملياً – ومن خلال هذا البحث – حين نقدم ما كان المستشرق دقيقاً في عرضه ، مشيدين به ، مؤكدين عليه .

أما ما اشتبه عليه والتبس واختلط ، سوف نفرد له عرضاً ، ونعقبه بعون الله تفنيدا ، ولسوف نحمله على أقل ما يمكن حمله ، مستبعدين العداء الداكن – مؤقتا – معولين على نقص الأدوات العلمية في البحث فقط ، على نحو ما أكدناه قبلاً .

ج – ومن حقنا أن نتساءل : هل كل المستشرقين أخطأ علميا فقط ، وانتهت القضية ... ثم لماذا الخطأ العلمي في الإسلام فقط دون غيره من الأديان ؟! .

ولماذا هذا الجيش العرمرم من المستشرقين الذين أخطأوا علميا فقط في الإسلام ؟!!

أم انه العداء الذي ليس وراءه وراء ، والذي يخطط للتدمير والفناء ، وإن زوق ألفاظه وزينها ببعض الثناء ؟!!

وتلك قضية يجيب عنها كل من كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد !؟

ومهما يكن من أمر ، فإنا نعرض لبعض نماذج الدقة عند "ديورانت" في تناوله للقرآن الكريم .

وها هي ذي بعض النماذج :

الأنموذج الأول : حول مكانة المرأة في الإسلام :

وقد ظهر هذا من تأكيد " ديورانت " على أن القرآن : " رفع من مقام المرأة في بلاد العرب ... وهو يهيب بالرجال ألا يكونوا عبيداً لشهواتهم ... ومن صور هذا التكريم : أنه سمح للنساء أن يحضرن الصلاة في المساجد ... وقضى على عادة وأد البنات ... وسوى بين الرجل والمرأة في الإجراءات القضائية والاستقلال المالي ، وجعل من حقها أن تشتغل بكل عمل حلال ، وأن تحتفظ بمالها ومكاسبها ، وأن ترث ، وتتصرف في مالها كما تشاء [١] .

الأنموذج الثاني : حول أثر عقيدة الإسلام في وحدة المسلمين

بعد أن تحدث عن بعض أبعاد العقيدة الإسلامية ، أتبع ذلك قوله : " تلك بلا مراء عقيدة نبيلة سامية ألفت بين الأمم المتساوية المنتشرة في قارات الأرض فجعلت منها شعباً واحداً " [٢] .

الأنموذج الثالث : حول أثر القرآن في أمة الإسلام :

ويجب أن ننوه أن هذا هو ما ختم به " ديورانت " حديثه عن القرآن الكريم ، فقد قال : " وقد كان له (أى القرآن الكريم) أكبر الفضل في رفع مستوي المسلمين الأخلاقي والثقافي ، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية ، وحضهم على اتباع القواعد الصحية ، وحرر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام ومن الظلم

---

(١) ينظر : قصة الحضارة ، ١٣ / ٦٠ .

(٢) السابق ، ١٣ / ٦٦ .

والقسوة ، وحسن أحوال الأرقاء ، وبعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة ، وأوجد بين المسلمين – إذا استثنينا ما كان يقترفه بعض الخلفاء المتأخرين – درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض ، ولقد علم الإسلام الناس أن يواجهوا صعاب الحياة ، ويتحملوا قيودها بلا شكوي ولا ملل ، وحثهم في الوقت نفسه علي التوسع توسعاً كان أعجب ما شهده التاريخ كله ، وقد عرّف الدين وحدده تحديداً لا يجد المسيحي ولا اليهودي الصحيح العقيدة ما يمنعه من قبوله [١].

وما ختم به " ديورانت " حول القرآن الكريم ، نختم به هذه النماذج مما عرضه " ديورانت " عرضاً دقيقاً أميناً صحيحاً جاء متسقاً مع الدين الإسلامي ، ومساوقا لما قرره الأسلاف والأخلاف من علمائنا .

وهذا كله لا يمنع ان نؤكد أن ما كان " ديورانت " فيه دقيقاً هو قليل ... قليل بجوار ما التبس عليه فيه ، واشتبه أمره عليه فصار حكمه فيه غير صائب ، وقوله فيه مجافيا لصحيح الإسلام

مما يوجب علينا الحديث في النقطة القادمة .

---

(١) قصة الحضارة ١٣ / ٦٩ .

ثالثا : شبهات " ديورانت " حول القرآن الكريم :

منهجه في إثارة الشبهات :

يتضح من ملامح " ديورانت " في إثارة الشبهات حول القرآن،أنه :

أ – دائم الربط بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل ، بدا ذلك في أجواء عرضه كلها :

ففي بداية العرض ، وفي أول سطر فيه ، قال : " لفظ القرآن مشتق من القراءة ، ويطلق على كتاب المسلمين كله أو على أى جزء منه ، وهو يتألف كما يتألف الكتاب المقدس ، كتاب اليهود والمسيحيين من أجزاء جمع بعضها إلي بعض . ويعتقد المسلمون أن كل حرف منه موحى به من عند الله ، ويختلف عن التوراة في أنه كله نطق به رجل واحد " (١) .

وتابع هذا الربط–على اطراد–في كثير من المواضع منها :

قوله عن طريقة نزول القرآن : " وتلك هي الطريقة التى سار عليها أنبياء بني إسرائيل ، وهي التى نراها في كثير من فقرات أسفار موسى الخمسة (٢) .

وكذا قوله : " والمحور الذي تدور عليه المبادئ الأخلاقية في القرآن ، كما هي الحال في كتاب العهد القديم ، وهو خوف العقاب ورجاء الثواب في الحياة الأخرة " (٣) .

---

(١) قصة الحضارة ، ١٣ / ٤٨ .

(٢) السابق ، ١٣ / ٥١ .

(٣) ذاته ، ١٣ / ٥٦ .

وأعتقد أن هذه النماذج تكفي لإثبات سعيه الدائب والدائم للربط بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل .

ب – وكذلك من ملامح منهج " ديورانت " في إثارة الشبهات حول القرآن أنه : يلقي شبهته واضحة ، تصل إليها دون عناء ، في كلام وألفاظ لا تحتمل لبسا أو غموضا أو تداخلاً ، مما يؤكد صحة منهجنا الذي اعتنقناه في هذا البحث أنها أخطاء علمية ، وقع فيها " ديورانت " لعدم اعتماده على المراجع الأصلية التي تعرض الإسلام بأقلام أهل الإسلام .

ولقد ترك نفسه فريسة للمستشرقين يأخذ عنهم ، وكتبهم مملوءة بالخطايا والأباطيل .

وعلى أي حال فلنترك هذا ، ولننتقل إلي ما أثاره " ديورانت " من شبهات حول القرآن الكريم ، قبل أن نشرع – بعونه تعالي – في تفنيدها ودحضها .

الشبهة الأولى : زعمه أن النبي (ﷺ) هو الذي ألف القرآن :

أبعاد الشبهة : أخذ عرض "ديورانت" لهذه الشبهة عدة أبعاد:

البعد الأول : زعمه أن النبي (ﷺ) نظر بذكائه وثاقب فكره إلي حال الأمة العربية فوجدها في حاجة إلي دين جديد ، فتحمل هو أعباء هذا الدين وقام بتأسيسه .

وذلك قوله : " لعله قد بداله (أى للنبي ﷺ) أن حال بلاد العرب إذا قورنت بما تأمر به المسيحية واليهودية حال بدائية لا تشرف ساكنيها ، ولهذا أحس بالحاجة إلي دين جديد ، ولعله أحس بالحاجة إلي دين يؤلف بين هذه الجماعات المتباغضة والمتعادية ، ويخلق منها أمة قوية سليمة [١]

ويؤكد نجاح الرسول (ﷺ) في تأسيس هذا الدين – كما يزعم – ، ويصف هذا الدين بالسهولة والوضوح والقوة ، فيقول : " لقد كبح جماح التعصب والخرافات ، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم دينا سهلاً واضحاً قوياً ، وصرحاً خلقياً قوامه البسالة والعزة القومية [٢] .

البعد الثاني : التصريح بأنه (ﷺ) ألف القرآن بنفسه ، وقد جاء ذلك في قوله : " ولم يعرف عن محمد (ﷺ) أنه كتب شيئاً بنفسه ، وكان بعد

(١) قصة الحضارة ، ديورانت ، المجلد السابع ، ١٣ / ٢٤ .

(٢) السابق ، ١٣ / ٤٧ .

الرسالة يستخدم كاتباً خاصاً له ، ولكن هذا لم يحل بينه وبين المجئ بأشهر وأبلغ كتاب في اللغة العربية (١) .

البعد الثالث : وفيه نحي " ديورانت " منحىً آخر أشد عمقاً في عرضه للشبهة حين حاول تأكيد زعمه هذا من خلال :

أ – زعمه تناقض الرسول (ﷺ) في وضعه تشريعات القرآن .

ب – زعمه أن الرسول (ﷺ) حاول جاهداً إقناع الناس أن هذا الكلام وحي الله إليه ، بهدف إقناعهم والإيمان به .

ج – زعمه أن هذه المحاولة كلفت الرسول (ﷺ) كثيراً في محاولة منه (ﷺ) لتكييف أسلوبه حتى يصطبغ بالصبغة الدينية .

فلتنظر – قارئي العزيز – إلي ما طرحته لك قبلاً من هذه الأمور الثلاثة في (أ – ب – ج) ثم تأمل قول " ديورانت " : " ولم يكن مشرعاً علمياً ، فلم يضع لأمته كتاباً في القانون أو موجزاً فيه ، ولم يسر في تشريعه على نظام مقرر ، بل كان يصدر الأوامر حسبما تمليه عليه الظروف .

وإذا أدي هذا إلي شيء من التناقض أزاله بوحي جديد ينسخ القديم ويجعله كأن لم يكن ، حتى شئون الحياة العادية كانت أوامره فيها تعرض في بعض الأحيان كأنها موحى بها من عند الله .

---

(١) السابق ، ١٣ / ٢٢ ..

وكان اضطراره إلى تكييف هذه الوسيلة السامية بحيث تتفق مع الشئون الدنيوية مما أفقد أسلوبه بعض ما كان يتصف به من بلاغة وشاعرية ، ولكن لعله كان يشعر بأنه بهذه التضحية القليلة جعل تشريعاته تصطبغ بالصبغة الدينية الرهيبة [١] .

وهكذا – وكما بدا من خلال النص السالف – زعم ديورانت أن القرآن الكريم من تأليف الرسول (ﷺ) ، وقد صبغه الرسول بصبغة الوحي ليحل عليه القداسة – كما زعم – مما استدعي ذلك أن يغير الرسول أسلوبه في أكثر من طريقة عرض !!! ولنا وقفة مع ذلك للرد والتفنيد .

---

(١) قصة الحضارة ، ول ديورانت ، المجلد السابع ، ١٣ / ٤٢ ، ٤٣ .

الشبهة الثانية : حول جمع القرآن وترتيب سوره :

يزعم "ديورانت " أن الرسول ﷺ ما أراد جمع القرآن كما فعل الصحابة من بعده،وذلك قوله:"ولكننا لسنا واثقين من أن محمداً كان يريد جمع هذه الأجزاء المتفرقة كلها في كتاب واحد،فقد كان كثير منها حديثاً لرجل بعينه في وقت بعينه ويصعب فهمه دون معرفة واسعة بتاريخ ذلك الوقت وتقاليد أهله"(١) .

ويزعم " ديورانت " – كذلك – أن عملية جمع القرآن وترتيب سوره كما هي عليه الآن لم تخضع لترتيب زمني أو منطقي ، ويمهد بذلك إلي حكمه مدعياً التكرار الذي أدي إلي عدم الانسجام بين آيات وسور القرآن .

يقول "ديورانت" : "لقد كان كل ما يوحي به يكتب ثم يحفظ مع الآيات السابقة دون أن يراعي في ذلك ترتيب زمني أو منطقي" (٢) .

ثم يحاول تأكيد ادعاءه الذي توصل إليه كنتيجة ارتآها لتلك المقدمة ، في قوله : " ومن شأن الظروف التى أحاطت بالقرآن أن تعرضه للتكرار وعدم الانسجام " (٣) .

ثم يحكم " ديورانت " حكمه المزعوم ، واصفاً القرآن بأنه تاريخ مقلوب ، حين تحدث عن ترتيب سور القرآن ، فزعم أنها : " مرتبة بحسب طولها ، لا بحسب نزولها ... فهو يبدأ بالسور الطوال وينتهي بالقصار ، وإذا كانت قصار السور بوجه عام أقدم عهداً من طوالها ، فإن القرآن تاريخ مقلوب " (٤) .

---

(١) قصة الحضارة ١٣ / ٥٠ .

(٢) السابق ١٣ / ٤٨ .

(٣) السابق ١٣ / ٤٦ .

(٤) السابق ١٣ / ٥٠ ، ٥١ .

الشبهة الثالثة : حول لغة القرآن :

أثار : ديورانت " شبهة حول لغة القرآن الكريم ، تستحق وقفة معها ، حين تحدث عن أسلوب القرآن الذي حكم عليه بأنه وسط بين الشعر والنثر ، ثم علا ليؤكد وجود فقرات موزونة مقفاة ، وبخاصة في السور المكية .

وهذا يجعلنا نلج باب تلك القضية لنطرح سؤالاً هو :

هل في القرآن شعر ؟

ونترك الإجابة عليه لمرحلة الرد والدحض والتفنيد الآتية فيما بعد، ونسطر ما قاله " ديورنت " حول هذه القضية ، وهو : " أسلوب القرآن وسط بين الشعر والنثر ، تتخلله كثير من الفقرات الموزونة المقفاة ، ولكنها لا تتبع أوزاناً ولا قوافي خاصة منتظمة ، وفي السور المكية الأولى نغمات موسيقية رنانة،وأسلوب جزل قوي لا يدركه كل الإدراك إلا الملمون باللغة العربية الذين يعطفون على الدين الإسلامي(١) .

وعلى أية حال : فلنترك هذا إلي وقت التفنيد ، ولنلتفت إلي شبهة أخري .

---

(١) قصة الحضارة ١٣ / ٥٢ .

الشبهة الرابعة : حول عموم لفظ القرآن وخصوص السبب فيه :

على ألسنة الكثيرين :

هذه الشبهة التى أثارها " ديورانت " لاكتها ألسنة كثيرة ، وتشدق بها كثيرون ، وهي حديث العلمانيين وأذنابهم في هذا الزمان وتلك القضية تتعلق بالحجاب وحدود الزينة في الإسلام ، من خلال خطاب القرآن لنساء النبي العدنان ، يأمرهن بالاحتجاب ، فهل هذا الأمر خاص بنساء النبي عليه الصلاة والسلام ، أم أن نساء المسلمين جميعاً يدخلن في دائرته طبقاً لقاعدة مقررة هي :

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؟!

القضية عند ديورانت غير ذلك تماماً ، فالآية في نظره خاصة بنساء المصطفى أمهات المؤمنين ، ولا تتعداهن إلى غيرهن من النساء المسلمات عموماً ، ويعتبر ديورانت أن من يفهم غير ذلك ، فهو ذو فهم قاصر يخالف الواقع العملي .

الواقع العملي – في نظره – أن نساء المسلمين كن يخرجن من البيوت بكامل حريتهن غير محجبات في أيام النبي (ﷺ) وفي القرن الأول بعد الهجرة .

ويزعم " ديورانت " هذا ويعتقد – دون مواربة – ويحدث به في قوله :

" وفي القرآن آية يأخذها بعضهم حجة على حجب النساء ، وهي:﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ (١) ، ولكن الآية إنما تؤكد النهي عن التبرج ، ويروي أن النبي أجاز للنساء أن يخرجن لقضاء حوائجهن ، أما زوجاته هو فقد طلب إلي أتباعه ألا يكلمهن إلا من وراء حجاب ، وفيما عدا هذه القيود فإن نساء المسلمين كن يخرجن من البيوت بكامل حريتهن غير محجبات في أيام النبي وفي القرن الأول بعد الهجرة " (٢) .

ولعمري هذا خلط واضح يحتاج إلي إزالة لبسه ، وكشف غموضه ، ولقد حان وقت المناقشة في المطلب القادم .

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٣) .

(٢) قصة الحضارة ١٣ / ٦٠ ، ٦١ .

المطلب الثاني

تفنيد شبهات "ديورنت" حول القرآن الكريم

ويشمل:

*** نظرة في العرض لتحديد مسار الرد .**

أولاً : الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى .

ثانياً : القرآن : جمعه ، وترتيبه ، ووحدته الموضوعية .

ثالثاً : هل في القرآن شعر ؟!

رابعاً : فقه العموم والخصوص في القرآن : آية الحجاب أنموذجاً .

نظرة في العرض لتحديد مسار الرد .

القراءة المتأنية للعرض السابق تقودنا – إن شاء الله تعالى – إلى أن نضع أناملنا على مسار الدحض والرد والتفنيد :

فإذا زعم " ديورانت " أن الرسول (ﷺ) هو الذي ألف القرآن ، أوجب علينا هذا الزعم أن نقيم الأدلة العقلية الموضوعية على أن القرآن الكريم وحي الله تعالى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام ، وأنه لم يكن للرسول (ﷺ) فيه إلا التلقي والتبليغ للبشر حتى تتحقق سعادتهم دنيا ، وفوزهم ونجاتهم آخرة

وإذا زعم " ديورانت " أن القرآن تاريخ مقلوب ، ما روعي عند جمعه ترتيب زمني أو منطقي ، وإنما رتبت السور فيه بحسب طولها لا بحسب نزولها [(١)] . فإن هذا يقتضي منا حديثاً نكشف من خلاله عن ترتيب سور القرآن ... وهل كان ذلك بأمر الله لنبيه،أم أنه أمر النبي لصحابته،أم أنه من اجتهاد الصحابة؟؟!!

وسوف يكون الرد تحت عنوان : جمع القرآن وترتيبه .

كما فتح " ديورانت " من خلال حديثه عن لغة القرآن ، قضية هامة ، يجب ألا تمر علينا مرور الكرام ، وهي :

هل في القرآن شعر ؟

أمّا ما ذكره " ديورانت " عن عدم تفعيل قاعدة :

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

---

(١) راجع العرض ، السابق في هذه الدراسة .

وخاصة في عملية الحجاب ، زاعما أنه فهم متعسف ، وتحميل للآية فوق ما تحتمل ، لأن في آية : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى...... ﴾ [1] لزوجات المصطفى فقط ، ولا يتعداه إلى غيرهن من النساء – هكذا زعم – وعنده شبهة دليل على زعمه هذا يتمثل في أن نساء المسلمين كن يخرجن من البيوت بكامل حريتهن غير محجبات في أيامه (ﷺ)

هذا كله يستوجب أن نولي وجوهنا شطر علماء أصول الفقه في الإسلام لنزيل اللبس ، ونكشف الغموض حول قضية :

العموم والخصوص في الأمر والنهي

وبالجملة : فنظرتنا للعرض السابق حددت معالم الردمن خلال :

المسار الأول : الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى .

المسار الثاني :القرآن: جمعه ، وترتيبه ، ووحدته الموضوعية

المسار الثالث : هل في القرآن شعر ؟

المسار الرابع : فقه العموم والخصوص في القرآن ،

آيه الحجاب أنموذجاً

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٣) .

أولاً : الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى .

إذا زعم " ديورانت " أن القرآن من عند النبي (ﷺ) ، فإن البحث يجابه هذا الادعاء بإقامة أدلة واضحة دامغة على أن القرآن الكريم كلام رب العالمين ، وليس فيه لأحد من البشر شيء حتى النبي ﷺ ليس له فيه : إلا البيان والتبليغ .

والأدلة على أن القرآن الكريم كتاب الله تعالى كثيرة ومتنوعة ، ولعل من أهمها :

الدليل الأول : دلالة ضمير الرسالة في القرآن .

ويُعني به : ضمير الخطاب الموجه إلى رسول الله (ﷺ) ، فالرسول (ﷺ) مخاطب في القرآن ومأمور فيه .

يقول الدكتور / محمد الغمراوي :

إن القرآن يدل بنفسه على نفسه أنه من عند الله تعالى ، ولو أن المستشرقين كانوا مخلصين في طلب الحق لما زعموا أن القرآن من عند محمد (ﷺ) ، فليس يخاف عليهم أن محمداً (ﷺ) مخاطب فيه ، مأمور به ، وخطابه (ﷺ) بجميع صور الخطاب هو أول خصائص القرآن الواضحة التي تنقض ذلك الزعم .

ولو كان خطاب الرسول (ﷺ) مقصوراً على آية أو آيتين ، أو سورة أو سورتين ، لأمكن لزاعم أن يقول : إن ما وراء ذلك القرآن هو من عند النبي (ﷺ) لكن الخطاب على تنوع صوره ، وتعدد مقاصده ، متبث في القرآن كله بضمائر الخطاب وأفعال الأمر والنهي والنداء ، ولم يناد عليه السلام فيه باسمه ، ولكن بالنبوة أو الرسالة .

فإن نودي بغير ﴿يا أيها النبي﴾[1] و ﴿ يا أيها الرسول ﴾ [2]، كما في ﴿ يا أيها المزمل ﴾ و ﴿ يا أيها المدثر ﴾ ، أتبع النداء بأمر يفيد النبوة أو الرسالة ، كما في ﴿قم الليل إلا قليلاً﴾ و ﴿ قم فأنذر ﴾ ، فضمير خطابه (ﷺ) في القرآن هو في الواقع ضمير النبوة أو ضمير الرسالة [3] .

ولأكثر أفعال الأمر وروداً في القرآن هو فعل (قل) كلمة من حرفين ، لكن أثرها في نفس القارئ وفي نقض زعم المستشرقين عجيب ، ويكبر أثرها ويعظم حين تتكرر في الآية الواحدة ، أو تتصدر في آيات متتالية ، كما تكررت مثلاً أربع مرات في آية :

١ – **قل** أي شيء أكبر شهادة .

٢ – **قل** الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهد ون أن مع الله آلهة أخرى .

٣ – **قل** لا أشهد .

٤ – **قل** إنما هو إله واحد وإنني برئ مما تشركون [4] .

وخمس مرات في آية :

---

(١) وردت في القرآن كثيراً ، وعلى سبيل المثال : مفتتح سورة الأحزاب ، وجزء من الآية ٤٥ بها .

(٢) وردت في مواضع كثيرة منها : سورة المائدة ، من الآية ٦٧ .

(٣) الإسلام في عصر العلم ، د / محمد أحمد الغمراوي ، ص ١٧٢ ، ط دار الإنسان بالقاهرة ، ط ٤ ، عام ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

(٤) سورة الأنعام الآية (١٩) .

١ – **قل** من رب السموات والأرض .

٢ – **قل** الله .

٣ – **قل** أفا تخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً

٤ – **قل** هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم .

٥ – **قل** الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار [١] .

والأمثلة كثيرة .

وهذه الآيات التى ذكرت فيها كلمة " قل " ضرورة للنظم واحتباكه ، فلو حذفت " قل " هذه لا نفرط النظم ، ولفقد الأسلوب إعجازه ، ولولا تلك الكلمة ذات الحرفين لجاز لملحد أو مستشرق أن يقول : إنها من كلام النبي (ﷺ) أدرجت في القرآن ، لكنها تذكره – إن كان يتذكر – أن هذا القول غير جائز ، فلو كانت تلك الآيات من عند أحد من الناس لأسقطت كلمة " قل " عند التبليغ كما جري عليه الناس في أداء الرسائل [٢] .

فهذه أهم الخصائص الذاتية التى تثبت لكل ذي عقل أن القرآن من عند الله تعالي [٣] .

---

(١) سورة الرعد الآية (١٦) .

(٢) لم يذكرها الرسول (ﷺ) في كتابيه إلي هرقل والمقوقس لما ضمنهما آية ٦٤ من آل عمران ، فلم يكتب (قل يا أهل الكتاب) وإنما كتب : (يا أهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء) ، وهذا ما جرت عليه العادة في الرسائل .

(٣) السابق ، ص ١٧٢ وما بعدها بتصرف .

الدليل الثاني : طريقة تناول السيرة الذاتية لشخص الرسول (ﷺ) وأسرته الكريمة .

سجل القرآن خصوصيات أسرة الرسول (ﷺ) ، بما لا يرغب الإنسان – عادة – في أن يعلمه غيره من الناس ، وهذا يدل دلالة أكيدة على أن الرسول ﷺ لم يتحدث بالقرآن الكريم من ذاته ، وبسبب ذاته ، فليس إنسان يتحدث من ذاته بسبب ذاته في إنتاجه الفكري [١] .

وحسبك من ذلك ما في مطلع سورة التحريم ، وتسجيلها لخصوصية من خصوصيات أسرة الرسول (ﷺ) على غير ما يرغب فيه البشر .

يقول الدكتور / محمد شامة :

" هذه الظاهرة تعد دليلاً على صدق محمد (ﷺ) في أنه رسول من عند الله تعالى ، وفي أنه لم يبلغ إلا ما أمر بتبليغه ، ذلك أن النفس البشرية تميل إلى الحديث عن الذات ، بل تحاول – إن أمكنها – أن ترسم لنفسها صورة وردية مضافاً إليها من الصفات الحميدة ما احتوت قواميس اللغة في هذا المجال .

ومحمد (ﷺ) ، وهو الكامل ولا شك في هذا ، وسلوكه يتفق مع تعاليم الحق جل وعلا ، مكلف أن يبلغ ما أمر به ، لا ما تميل إليه نفسه كإنسان .

إن الإسلام لا يتعلق بشخصية، بل بالعليم الحكيم رب كل شيء ، ولم يكن دور محمد (ﷺ) سوي وسيط مبلغ ومبين ، وينتهي هذا الدور

---

(١) نحو القرآن ، د / محمد البهي ، ص ١٧ ، بتصرف ، ط مكتبة وهبة بالقاهرة ، ط ١ عام ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م .

بمجرد إتمام المهمة التى كلف بها ، أما الله تعالي فهو الباقي الحي ، ولم يكن من حكمته تعالي أن يتحدث عن شخص محمد (ﷺ) إلا في حدود التشريع فقط ، وهذا هو أسلوب الوحي في كل زمان ومكان ․(١)

وهذا هو الدليل الصادق على أن القرآن كلام رب العالمين

الدليل الثالث : كون نظمه على غير عادة المؤلفين :

إذا نظرنا إلي نظم القرآن وطريقة تأليفه ، لوجدنا أنه على غير عادة البشر في النظم والتأليف :

فإذا نوقش فيه التاريخ – مثلاً – لم يناقش على الأسلوب السائد لكتابة التاريخ .

وإذا سيقت البحوث حول الفلسفة وما يتصل بأمور ما وراء الطبيعة لم تسق في مصطلحات تختص ببحوث الفلسفة والمنطق

وإذا ذكر الإنسان وما في العالم من موجودات لم يذكر على منهج العلوم الطبيعية .

وإذا تطرق الموضوع إلي شئون المدنية أو السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع لم يسلك مسالك علم الاجتماع من البحث .

وإذا أتى على ذكر من الأحكام القانونية وأصول التشريع لم يأت بصياغة يعتادها أصحاب التشريع وعلماء التقنين في هذا المجال ، وإذا

---

(١) الإسلام في الفكر الأوربي ، د / محمد شامة ، ص ٦١ ، ٦٢ بتصرف ، ط دار التراث العربي ، وتوزيع مكتبة وهبة بالقاهرة ، ط ١ عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

عرض تعاليمه في الأخلاق واستقامة السلوك رأيته يختار لها النمط الذي يغاير سائر ما دُوِّن في هذا الباب [١].

هذه الأدلة ... وغيرها كثير .... تنهض لتبين انه كلام رب العالمين

ثم : ألم يكن من الفخر للرسول (ﷺ) أن ينسب القرآن لنفسه إن صح الزعم أنه من تأليفه ؟ بدلاً من أن ينسبه إلى الله تعالى !!!

ألا يكفي أن الذي يزعم له اختلاق القرآن هو هو الذي ينفي ذلك عن نفسه ليدلنا على شيء خارج عن أفق العادة في كافة النواحي البشرية ، سيما أنه رجل أمي في أمة أمية كانت في أظلم عهود الجاهلية .

---

(١) المبادئ الأساسية لفهم القرآن ، أبو الاعلى المودودي ، ص ٤ ، ٥ ، ط دار التراث العربي ، بدون .

ثانيا : القرآن : جمعه وترتيبه ووحدته الموضوعية

أ – جمع القرآن : لقد مرت عملية الجمع بما يمكن أن نسميه : الأطوار الثلاثة :

أما الطور الأول : فقد كان في عهد النبي (ﷺ) حين ينزل عليه القرآن منجماً فيقرأه على أصحابه ، وكانت العناية القصوى منه (ﷺ) تتجه أساساً إلي حفظه وتلقفه حتى بلغ به الأمر انه كان يحرك لسانه عند نزوله خوف النسيان " (١) .

ويؤكد هذا الحرص ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) كان يعاني من التنزيل شدة ، وكان يحرك به شفتيه ، فأنزل الله تعالى : لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه . فكان ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه (٢)

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلقفون كلام الله بالحفظ في الصدور ، والكتابة في سطور على سعف النخل وقطع الجلد ... الخ بأمره (ﷺ) في وضع كل آيه في مكانها .

---

(١) المرشد الوافي في علوم القرآن ، د / محمود بسيوني فودة ، ص ١١٤ ، ١١٥ ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : كيف كان بدء الوحي ، باب : كان (ﷺ) يعاني من التنزيل شدة ، حديث رقم ٥ .

ينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، ١ / ٨٣ ، ط دار الغد العربي ، ط ١ عام ١٩٣٣ م .

وهذا ما أكده الإمام السيوطي حين قال :

جمع القرآن ثلاث مرات :

إحداها بحضرة النبي (ﷺ) .... والمراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي (ﷺ) [١]

تعليق : نستنبط من كلام الإمام السيوطي أن عملية جمع القرآن بدأ طورها الأول في عهده (ﷺ) ، وبين يديه ، وبأمر مباشر منه للصحابة أن يعملوا على حفظه ، فجمعه يؤدي إلى حفظه ، كما كان حفظه سبيلاً إلى جمعه .

وهكذا يتضح أن الأمر ليس كما زعم "ديورانت" من أنه ﷺ ما أحب جمعه ، ولا أمر به ، بل كان أمره (ﷺ) أمراً مباشراً وصريحاً لصحابته بتعهده وحفظه كمرحلة أولية سهلت عملية جمعه بعد ذلك في مصحف واحد .

ولكن : يحق لنا أن نتساءل :

لما ذا لم يجمع القرآن في مصحف واحد في عهده (ﷺ) ؟

والحق أن هذا لسببين :

الأول : وضحه الإمام السيوطي حين نقل عن الخطابي قوله :

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ١ / ٧٦ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط ٤ ، عام ١٩٧٨ م .

" إنما لم يجمع (ﷺ) القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة ، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر "[١] . رضي الله عنهما .

والثاني : هو ما أورده الدكتور / محمود فودة – رحمه الله تعالى – نقلاً عن الإمام الدكتور / محمد أبي شهبة ، ومفاده :

" أن ترتيب الآيات والسور لا يتفق ونزول القرآن ، فمن المعروف أن القرآن نزل على حسب الدواعي والأسباب ، فلو كتب القرآن في ذلك العهد ، والشأن كما ذكرنا ، لكان المكتوب عرضة للتغيير والتبديل والقشط والإزالة والمحو ، وهذا أمر فيه من الصعوبة ما فيه ، إذا أخذنا في الاعتبار صعوبة الكتابة وقلة الكتبة في ذلك الوقت ، ولما لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى وعُرف الترتيب الذي أراده الله للآيات والسور ألهم الله الخلفاء الراشدين فجمعوا القرآن في مصحف واحد وفي مكان واحد "[٢]

الطور الثاني : الجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه : وقد كان ذلك بمشورة عمر رضي الله عنه ، بعد أن قتل عدد كبير من الحفاظ في موقعة اليمامة في حروب الردة التي كانت عقب تولي أبي بكر الخلافة مباشرة .

ولن نجد افضل من الإمام البخاري يصور هذا الطور ، حتى استقر الأمر ، وذلك ما رواه عن زيد بن ثابت قال : أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ١ / ٧٦ ، مرجع سابق .

(٢) المرشد الوافي في علوم القرآن ، د / محمود فودة ، ص ١٢١ ، نقلاً عن : المدخل لدراسة القرآن ، د / محمد أبو شهبة ، ص ٢٢٩ .

أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر – أي اشتد وكثر – يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (ﷺ) ، قال عمر : هو والله خير ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ﷺ) ، فتتبع القرآن . أجمعه ، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله (ﷺ) قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ... فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر (١) .

هذا وقد أثنى الصحابة على عمل أبي بكر رضي الله عنه ، ومن صور الثناء ما قاله علي كرم الله وجهه : أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر ،رحمة الله على أبي بكر ،هو أول من جمع كتاب الله (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، حديث رقم ٤٩٨٦ .

ينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، ٩ / ١٠ ، ١١ ، ط دار المعرفة ، بدون .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ١ / ٧٦ .

الطور الثالث : في عهد عثمان ﷺ : لما اتسعت الفتوحات الإسلامية ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، ومعلوم أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، فكانت كل مجموعة تقرأ بقراءة مختلفة

" وإذا اجتمعوا للجهاد ، وقرأوا القرآن ، وسمع المسلم من أخيه المسلم ما لا يعرفه من وجوه القراءة ، تنازعوا واختلفوا ، وجادل كل منهم غيره في قراءته ، واستفحل الداء حتى كفر بعضهم بعضاً ، ولم يقف هذا الاختلاف عند حد ، بل انتشر حتى وصل مكة والمدينة .

وأساس هذه الفتنة : تمسك كل مصر من الأمصار الإسلامية بقراءته التي يعرفها ، وعدم وجود مصحف يحسم هذا الخلاف، يلتزمون به جميعاً ولا يخرجون عنه في كتابتهم للقرآن وتلاوتهم له"[1] .

تصوير ما فعله عثمان (ﷺ) :

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة وقال لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلي حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها إليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف .

---

(١) المرشد الوافي في علوم القرآن ، د / محمود فودة ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .

قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل في كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق [(١)] .

تعليق : بهذه الأطوار الثلاثة ، يتبين لنا أن الذي وضع لبنة جمع القرآن هو النبي العدنان ، وليس أنه كره ذلك ولم يأمر به ، كما زعم ديورانت ، ثم :

أتم الصحابة الأمر من بعده على يدي أبي بكر وعثمان .

والفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان – على ما أكده السيوطي [(٢)] أن جمع أبي بكر كان خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته ، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد ، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي (ﷺ) .

وأما جمع عثمان (ﷺ) فكان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات ، فخطأ البعض البعض ، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد .

وبعد حديثنا عن الجمع ننتقل إلى الترتيب .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، حديث رقم ٤٩٨٧ .

ينظر : فتح الباري ، ٩ / ١١ ، مرجع سابق .

(٢) الإتقان ، ٢ / ٧٩ .

ب – ترتيب القرآن :

إذا زعم " ول ديورانت " أن ترتيب سور القرآن غير منطقي ، وأنه تاريخ مقلوب بدأ بالسور الطويلة وانتهي بالسور القصيرة ، وأنه ينبغي قراءته من السور القصيرة ابتداء... وانتهاء بالسور الطويلة (١)

إذا زعم ذلك ، فإن تفنيدنا لهذا الزعم يتطلب الحديث عن ترتيب القرآن كما فصل علماء علوم القرآن القول فيه .

أولاً : ترتيب الآيات : أجمع أهل السنة والجماعة على أن ترتيب الآيات في المصحف توقيفي لا شبهة في ذلك .

حكي هذا الإجماع الزركشي في قوله : الآيات في كل سورة ، ووضع البسملة أولها ترتيبها توقيفي بلا شك ، ولا خلاف فيه ، ولا يجوز تعكيسها .

قال القاضي أبو بكر : ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا (٢) .

ومن الأدلة على أن ترتيب الآيات توقيفي : قول عثمان ﷺ : كان رسول الله (ﷺ) تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء

---

(١) راجع العرض السابق في هذه الدراسة .

(٢) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ١ / ٢٥٦ ، ط دار المعرفة ببيروت ، ط ٢ عام ١٩٨٣ م .